إلى المرابطات على ثغور العز

وحيث يجتمع المنتصرون بوعد الله الحق

ليلى حمدان

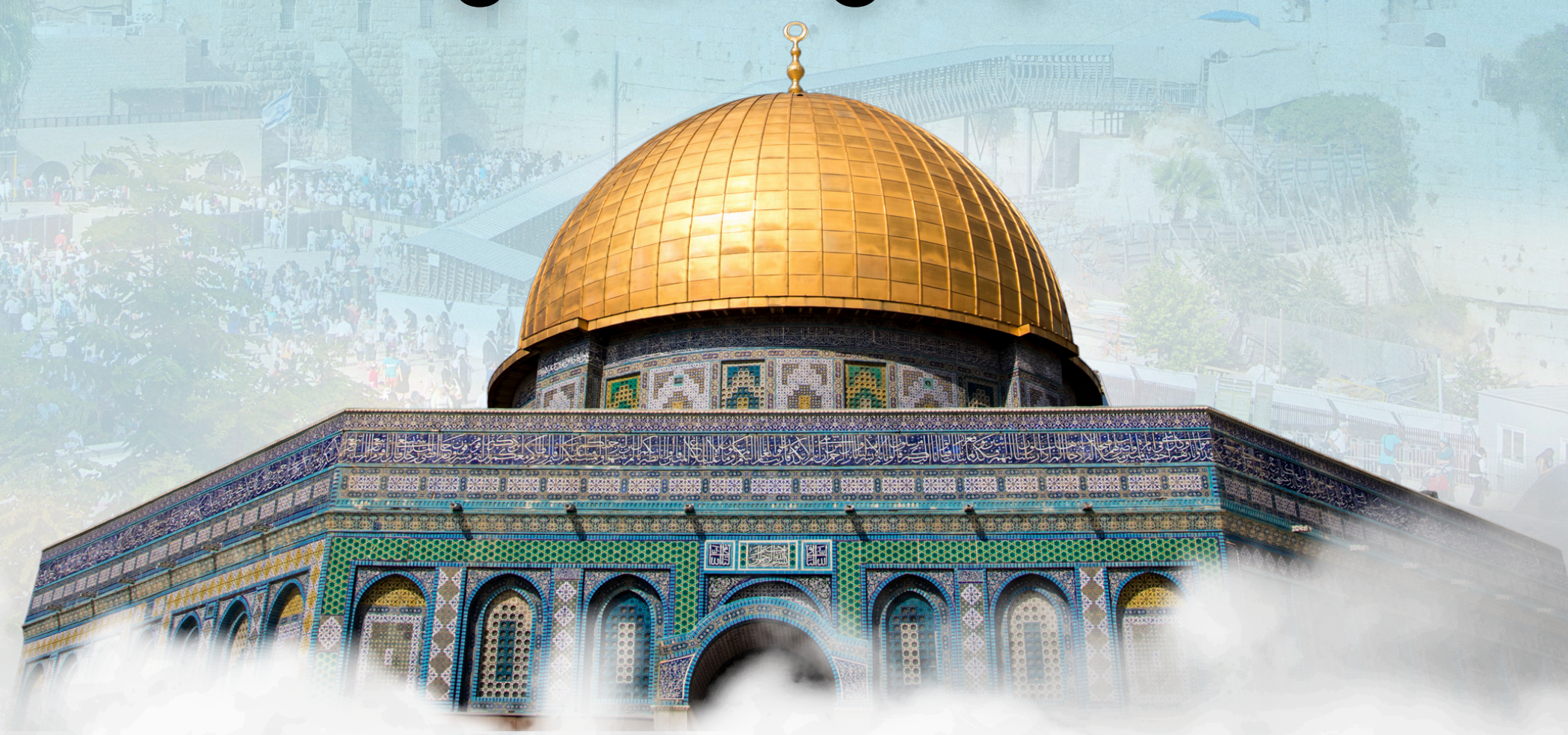

https://lylahamdan.com/

إلى المرابطات على ثغور العز

وحيث يجتمع المنتصرون بوعد الله الحق

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

حيا الله حارسات الثغور، الداعيات لله، العاملات في سبيل الله تعالى، الحاملات أمانة الرسالة الجليلة، وهيبة الإسلام العظيم في ثغر هو مستقبل الإسلام في هذه الأرض وفي محور الصراع كله!

تحية تحفها الأمانة وشعور المسؤولية في وقت تعيش الأرض الفلسطينية النكبة بكل ما تعنيه الكلمة، نكبة في الواقع والأهداف وكل حلم جميل أضحى محاصرا بالهواجس والأخطار ومكائد اليهود والكافرين.

اليوم ثغور الدعوة لله والثبات على الإسلام هي أهم الثغور وأرجاها في الحفاظ على روح الإسلام نقية كما وصلت الرعيل الأول، وهذا الحفاظ هو الركن الأساسي الذي يضمن تحقيق عملية الانبعاث، وتعزيز عوامل النهوض والعودة اللائقة لأمة هي خير أمة أخرجت للناس.

هذا الحفاظ هو أول الأسباب لإضعاف كيد الأعداء والتصدي لطغيانهم، فلن ننتصر عليهم إلا بالإسلام، بإحدى الحسنيين، ودون ذلك موت وهزيمة.

حين استحضر مكانة فلسطين في خريطة الصراع عبر التاريخ استحضر نصا قرأته عن ثبات نساء القدس، وعن تداول الأيام، أيام الطغيان والحصار، وأيام الاصطفاء للشهادة!

يقول المؤرخ في حصار الصليبيين للقدس في عام 492 هـ تقابل تقريبًا 1099 م، أي في الفترة التي كانت فيها الحملة الصليبية الأولى على القدس: "لقد كان في بيت المقدس نِسْوَةٌ يُفْخَرُ بهم على الأزمنة؛ يَلْتَفِفْنَ على العالمة الشيرازية؛ فقيهة واعظة، مُتَعَبِدَةٌ مُتبتلة، فلما دخل الروم بيت المقدس يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت لشعبان من سنة ثنتين وتسعين وأربع مائة، لجأت بهم أجمعين إلى المسجد الأقصى، وجلسوا في قبة السِّلْسِلَة التي كان يحكم بها داود عليه السلام وفيها، فلما غشيهم الرومُ قُمْنَ إليهم بالسب ورمي التراب في وجوههم، فحصدوهن بالسيوف، وأنزلوا بهن الحتوف، قال لي من عَايَنَ ذلك وهو في سطح المسجد الأقصى: كن قريبا من ألف امرأة".

لقد كانت المرأة المسلمة معلما بارزا في الثبات ونصرة الدين، حتى في أحلك الظروف وأضعف أيام المسلمين، وها نحن نرى مشهدا من مشاهد التاريخ لنساء مؤمنات انتهت حياتهن بالقتل في حصار وتحت وطأة الطغيان! لكنهن لم يرخصن دينهن ولم يبعن مبادئهن بثمن بخس. فخلد التاريخ سيرهن الناصعة المشرفة.

اليوم وأكثر من أي يوم آخر، هو يوم تجديد النوايا والصدق مع الله تعالى .. فتلك هي السبيل الموجبة لمعيته وتوفيقه وفتوحاته الربانية، وتلك هي وسيلة المؤمنة للاستعمال في إعلاء كلمة ربها جل جلاله.

وذلك هو تمام الفضل وتمام الغاية!

لذلك أوجه لكن هذه الكلمات الآن وبشدة أحفها بالدعوات، أن جددن النوايا، وانتظمن في صفوف متراصة، حددن الأهداف وتواصين بالحق والصبر، ولا يهن الحق في قلوبكن، لا يهن في أعمالكن وآثاركن!

فالتباين بين الهمم هو في حقيقة حجم اليقين والإيمان بما تحمله من حق وبقدر ما تنصره في أرض الواقع. يجب أن يكون لديكن خطة عمل متكاملة ومتلاحمة، تستوعب الضعف واحتياجات المرحلة ولا نقبل القعود، ولا نتخلف.

في عصر الاحتلال الشيوعي، كانت أخواتكن في وسط آسيا يدرسن في مدارس سرية القرآن، وكانت هذه المدارس تحت الأرض! كي لا يكتشف أمرهم الشيوعيون فينكلون بهن.

وعلى خطى نساء الأندلس اللاتي كن يحفظن الإسلام في أعماقهن وأرضعنه أولادهن بتمام السرية! فخرجت أسر مسلمة بعد قرون من الاضطهاد وبعد إجرام محاكم التفتيش الفظيعة!

فكيف بنساء فلسطين الأبيات، اللاتي سيستقبلن يوما مقبلا لا محالة، جموع المهاجرين والأنصار، في باحات الأقصى؟

كيف بمن يمهدن الأرض بصيانة الحق وتوريثه جيلا بعد جيلا لا تثنيهن في ذلك عقبة ولا خذلان أمة!

يقول الله عز وجل (وَقُلِ اعمَلوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسولُهُ وَالمُؤمِنونَ وَسَتُرَدّونَ إِلىٰ عٰلِمِ الغَيبِ وَالشَّهٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلونَ)التوبة/105

اجعلن هذه الآية بين أعينكن في كل يوم وكل لحظة تراجع! فالسباق جدّ وليس بالهزل، والاستهانة بدقيقة من العمر، تضييع لفرصة ارتقاء.

تزودن لملاحم الارتقاء فلا نعلم ما سيقبل من مكائد وابتلاءات، لا تثبت فيها المسلمة إلا بإيمان راسخ في جذورها وإباء شامخ في أغصانها.

وهذه أمور لا تحصل عليها المؤمنة بالتهاون والعجز والتسويف، بل بالرباط والجهاد الذي يستوعب خصائصها الأنثوية وظروف المرحلة.

فيا إماء الله، لا تشمتن فينا عدوا، ولا تحققن لكافر فينا هدفا!

لا تخورن هممكن ولا تحققن أحلام اليهود فينا.

فأنتن في هذا الثغر في الصف الأول، الذي يغبطكن عليه الكثير من المسلمات التواقات!

ليس لترف مكانة بل لعظمة فضل!

والفضل مع الشدة زيادة فضل فالأجر على قدر المشقة.

إن ساحات المراغمة وميادين نصرة الدين والعمل على إعلاء كلمته، هي أرجى المواطن للمؤمنة، كلما كانت الأكثر إخلاصا وصدقا واستقامة، أوجبت لنفسها من محبة الله تعالى ومعيته ما يذهل له أعداؤها.

فهذا مصدر قوتكن الأهم والأولى والأعظم، لا تنشدن قوة في غيره..!

ومن استغنت بالله أغناها عن كل شيء في هذه الدنيا، فالحمد لله تعالى.

أعلم أن كثرة المواعظ قد تثقل على النفوس، ولكن إن كان من بقية كلمة، فإياكن والانهزام، إياكن والارتياب، إياكن وإهمال ثغوركن، تعاهدنها بالصبر والتوكل وإعظام اليقين.

ولستن وحدكن، فحولكن من لا يخذلكن أيضا، وما تحتجنه من خدمة لن نخذلكن فيه بإذن الله تعالى، أتحدث نيابة عن كل الأخوات اللاتي يعملن معي. في ثغور الدعوة لله تعالى وإعلاء كلمته جل جلاله.

أوصيكن بالسعي لمراتب المحبة، والتعاون على البر والتقوى والحذر من أن يفرق صفكن الشيطان، فوحدتكن إغاظة لأعداء الدين فكن على قدر المسؤولية والبشرى!

وما يدريكن، أن تخلد أسماءكن في كتابة تاريخ بيت المقدس، وما يدريكن، أن الله يدّخر لكن الخير كله بعد هذه المحن والابتلاءات والوحشة وتبعات الاحتلال؟

أحسن الظن بالله تعالى ولنمضي كالسهام نحو الجنة، وفي طريقنا ننثر الورد، ونميط الأذى، ونرفع راية الإسلام بهمة ونسقي الأجيال بالنور وبعلو الغاية وصدق البشرى.

والله مولانا ولا مولى لهم.

أختكن الفقيرة إلى الله ليلى حمدان
في خدمتكن وأسعد بثباتكن وانتصاراتكن.